

من معالم مصوع الاثرية ضريح الشيخ دربوش



بقلم: د. تاج الدين نور الدايم

يعد ضريح الشيخ دربوش من النماذج والمواقع المثيرة للجدل والتساؤل في مصوع. تاريخ مصوع الذي زخر بالمعلومات الشفاهية التي تقزم من شأن ما لعبته المدينة من أدوار تسجلت في التاريخ العالمي والمحلي. فقد كانت مصوع عاصمة ايالة الحبشة او الولاية التركية للمنطقة و قد لعبت قبل ذلك أدوارا مهمة في نشاط المنطقة السياسي والاجتماعي والتجاري.

من هو الشيخ دربوش؟

هل دربوش تعني درويش؟

هل القبر الذي تم صرف ميزانية كبيرة عليه كما يتضح هو فعلا لدرويش مجهول الاسم والصفة؟

هل يعود الضريح الى شخصية مشهورة في تاريخ المنطقة؟

يقع الضريح في الجزء الجبلي من مصوع الجزيرة كما هو معروف ان مصوع تنقسم في ارضها الى الجزء الجبلي و (الكرى) وهو ردم البحر او نقل مواد ترابييه الى المواقع الضحلة من البحر لتوسعة اليابسة.

تم بناء الضريح حسب ما هو متداول في القرن 16 تحديدا حوالي 1561. ولا يوجد حتى الان دليل قاطع او مصدر ارشيفي يثبت ان شيخ دربوش هو اسم فعلي لصاحب

الضريح. فتسمية شيخ دربوش مأخوذة من تقليد محلي في تسمية المواقع او في محاولة لانتساب الضريح الى درويش ممن انتسبوا لثورة الدراويش في السودان وهو ما يعرف بالثورة المهدية خاصة وان الشعار اعلى القبة يمثل الان شعار أحد الأحزاب السودانية العائد بأصله وجذوره الى المهدية. غير ان ما يجعل هذه المعلومة غير واقعية هو ان البناء تم في 1561 والمهدية ظهرت في القرن 19 م، 1881، اما عن الهلال والرمح الذي اعتمدته المهدي في رايته وهو الرمز الموجود اعلى القبة فانه رمز للتصوف سابق للمهدية يجمع بين الدين والجهاد.



يعد الضريح من معالم مصوع الأساسية الذي لم يتأثر بزلزال عام 1339 هجرية الموافق 1920 م الذي ضرب مصوع قد دمر تسعة مساجد (1- مسجد حسن باشا 2 - مسجد اوده باش 3- مسجد عبدو حامد 4- مسجد بن علوان 5- مسجد عبد الله اسعد 6- مسجد صباح 7- مسجد الشيخ إبراهيم 8- مسجد الشيخ إسماعيل 9- مسجد خواجه صفر الرومي) كما دمر ومسح الزلزال عدد من المقامات منها 1- مقام جعفر الطيار 2- ومقام النجاشي 3 – مقام شيخ ابوبكر 4- مقام عكاشة 5- مقام شيخ حامد) وكلها بعد الزلزال أصبحت اثرا بعد عين بحسب تقرير مفتي الديار الارترية (بتاريخ 27 رمضان سنة 1376 هجرية الموافق 27 – 4 – 1957.

يقع الضريح في الجانب الشمالي الشرقي من مصوع وبالجانب الشمالي الغربي من حرم الميناء في مساحة تقدر بالتقريب عشرين مترا طولاً من الشرق الى الغرب

وعشرة أمتار عرضا من الشمال الى الجنوب. يبدو انه كان به سور من الحديد الصلب المزخرف الفاخر الذي كان يتم سبكه في بعض الأقطار مثل مصر وتركيا وبريطانيا ويوجد مثل هذا السياج في المدافن المصرية والتركية القديمة. قواعد المزخرفة من ذات نوع الحديد مدفونة ومثبتة بمادة قوية تشبه الاسمنت وكان تحت السياج حجارة من الكورال تقف عليها أعمدة مزركشة مسلوقة القمة وسميكة القاعدة ويربط بينه قطعة مربعة من الحديد السميكة تخترق القواعد بأسلوب هندسي بديع، اما بين الاعمدة فتتشابك قطبان حديدية متفاوتة السماكة بانحناءات واقواس مقسمة بالتساوي وفي ارتفاع واحد يتجاوز المتر قليلا.

مدخل الضريح من الناحية الغربية، فالداخل يرى مستطيلا من حائط قصير من حجارة الكورال المتساوية الابعاد والمزينة بدوائر منحوتة بارزة داخلها اشكال متنوعة ربما تمثل رموزا حربية او رموز لسيرة المتوفى تصطف الحجارة ذات الدوائر في ارتفاع واحد على حجارة منحنية (curved) ذات بروز قليل تشكل هذه دوائر الخط القاعدي المتواصل في كل المبنى تبدأ من المدخل وتستمر الى القبة والمبنى الخلفي لتمثل فيه فواصل النوافذ من الخارج. اعلى الحجارة المزينة تم وضع شكل من العجينة الصفراء المنحنية الى الخارج قليلا المتساوية الحواف ذات اركان متماثلة.

يتوسط المستطيل المذكور قبر وضعت عليه حجارة مكعبة من الكورال يطل على القبر باب قبة ذات أربعة نوافذ واسعة مزخرفة وكذلك الباب. يبدو انه كان لهذه القبة في النوافذ والباب شكل هندسي من أعمدة حديدية كحماية وزينة. سقف القبة من الطوب القرميدي الاجر او من الطين المحروق الذي يصعب تصنيعه في المنطقة. اعلى القبة يوحد عمود يحمل على قمته هلال ورمح ومغروس في بروز يتوسط قمة القبة يوحي شكل هذا العمود كأنه تم لاحقا من الناحية الشرقية للقبة توجد دائرة واسعة مزينة الحواف التي برزت من الحائط وتطل على مبني تحت الارض بحوالي الثمانية درجات المبنى ذو سقف من الطوب الفخاري.

التساؤلات التي تطل عند ولوج الضريح لماذا توجد قبة فارغة؟ لأنه من المعلوم في الاضرحة ان القبر يكون داخل القباب. لكن القبر هنا في العراء اما المبنى الخلفي يحتمل ان يكون سكنا او استراحة. نمت بعض أشجار الشورة او المانغروف داخل

وحول المبنى مما اضر به كما حاليا اثرت عوامل طبيعية عليه مما افقده كثير من جمالياته.

العثمانيون ومصوع اوزدمير باشا



كانت مصوع قرية تتبع لمملكة زولا وحاضرتها الميناء المعروف عدوليس التي تبعد عنها 50 كلم تقريبا او 31 ميلا. (<https://ar.wikipedia.org>)
احتلها البرتغاليون في عام 1520 ثم الاتراك في عام 1557 وكان القائد اوزدمير باشا الذي خاض حروب البحر الأحمر واستولى علي اليمن و كون في مصوع وضواحيها قواعد عثمانية لتأمين السواحل الارترية، مثل القاعدة المعروفة بفورتو مشناق او (في الأصل هي فورتو بوسناك . كان الجنود البوسنيون في الجيش التركي من اقوى فئات الجيش لانتمائهم العقائدي وكانت الدولة العثمانية ترسلهم لمناطق الشدة) جعل اوزدمير باشا مصوع مركزا للولاية العثمانية المعروفة ب (ايالة الحبشة) فصارت عاصمتها الإدارية، منها كان يدير سواكن شمالا وزبيد وعدن انتهى الحكم التركي سنة 1885 ليتم احتلالها من الايطاليين عام 1890 م
توفي اوزدمير باشا باليمن حوالي 1561 – 967 هـ بعد ان رسخ النفوذ العثماني في البحر الأحمر والساحل الافريقي لم ترد معلومة قاطعة عن مكان وفاته او قبره. بعض

المعلومات تتذكر انه توفي في صنعاء وأخرى تذكر انه فارق الحياة في طريق الحجاز وخلفه في الحكم ابنه عثمان الذي دخل السلطة عن طريق ابيه.

ضريح اوزدمير باشا او شيخ دربوش

بالرغم من ان الضريح العلم لأثري صار بحكم الواقع الاجتماعي المتوارث يطلق عليه شيخ دربوش الا انه بما اثاره من رغبة البحث عم هذا الشيخ المجهول توجب البحث ومحاولة الإجابة عن تساؤلات يثيرها هذا الضريح كونه لا يحمل اسم صاحبه مثلما كان يطلق على الاضرحة والمقامات في مصوع وضواحيها لذلك عبر الإجابات المتوقعة والمائلة والمتماثلة مع الواقع، فإن ما اثير من ان الضريح ما هو الا نصب تذكاري وربما قبر للوالي التركي اوزدمير باشا الذي اثير في بعض الروايات ان ابنه نقل رفاته من اليمن الى مصوع وعمل له قبرا فخما. (تجد المواقع التي اثارته المعلومة نهاية هذا النشر).

ما يؤكد ان القبر ليس لمجرد درويش او دربوش الاتي:

- 1- يتضح من شكل البناء وموقعه انه تم صرف أموال طائلة عليه وربما بجلب فنيين لبنائه ليكون مزارا تشريفيا لأعظم قائد تركي كما تشير الكتابات عنه.
- 2- مهما تكن الجهة التي سعت الى تكريم الشيخ دربوش غير المعلوم لا يمكنها تصميم مزار او ضريح بهذه الفخامة لمجرد رجل دين غير معروف بالاسم.
- 3- المبنى تم تصميمه حسب النماذج التركية و المصرية رغم ان الحجارة المستعملة من صخر مرجان البحر (CORAL STONE) التي فيما يبدو انها جلبت بكميات كبيرة وتم تشذيبها في الموقعه بحكم وجود كميات كبيرة من الحجارة الصغيرة من ذات النوع (coral chips)

- 4- نوع السياج الفاخر الذي يوجد مثله في القصور الحكومية والمواقع المهمة ذلك الحين وبيوت الأغنياء وكان يستجلب من دول مختلفة.
- 5- تصميم البناء يحتمل ان تكون القبة مكان الحراسة التشريفية للقبر كما هو متواجد في قبور العظماء و الافراد المهمين و يكونون دائما من العسكر بأزياء التشریف وربما لان الاتراك كانوا يضعون (الطربوش) فربما تحور اللفظ من طربوش الى دربوش .

- 6- المبنى المسقوف تحت الأرض ذو الدرجات الثمانية ربما يكون استراحة او مكان إقامة مؤقتة اثناء الخدمة لحراس الضريح.
- 7- القبر الذي بالفناء الامامي الذي تطل عليه القبة حتى الان تدور حوله اقوال عدة لا أحد يدري من داخل القبر هل هو رفات اوزدمير باشا الذي تم نقله من اليمن الى مصوع؟ ام هو مجرد قبر وهمي للتكريم؟ لان الاقوال متضاربة حول نقل رفات اوزدمير باشا من اليمن. لكن في اليمن لا ذكر لقبر هذا القائد الذي وطن للإمبراطورية العثمانية في المنطقة والذي كان يعرف بانه الوزير المهم والقائد الحربي في عهد سليم الثاني والقائد وللصدر الأعظم في عهد مراد الثالث، لذلك من المحتمل ان يكون الضريح المسمى بشيخ دربوش، هو في الحقيقة ربما يكون نصب تذكاري او مزار رسمي للقائد اوزدمير باشا. ارجو ان يساهم من له معرفة بتاريخ مصوع في اجلاء الحقيقة.

مواقع يمكن الرجوع اليها

1 Walter Plowden تقارير القناصل و الرحالة الفرنسيين و الايطاليين في البحر الأحمر

2 British library – images and maps

3 Lonely planet world fund archiqoo

4 الموسوعة العربية Arab Encyclopedia

5 ((<https://ar.wikipedia.org>